ما وصف بالجميل في محكم التنزيل: دراسة موضوعية

فهد بن متعب بن مبارك الدوسري *

المقدمة:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد:

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بلغة العرب، فاكتسبت اللغة العربية الفضل والريادة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[1] ونال العرب الفضل والسؤدد بهذه الخاصية، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[2] فهو شرف للرسول صلى الله عليه وسلم، وشرف لأمته.

وجاء نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارجاً عن المعهود من كلام العرب، ومبايناً للمألوف من ترتيب خطابهم، فله أسلوب يختص به، ويتميز في تصاريفه عن أساليب الكلام المعتاد .

---

* أستاذ مشارك بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المملكة العربية السعودية .

١ - سورة الشعراء، الآية: ١٩٢-١٩٥.

٢ - سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

فليس للعرب كلام مشتمل على ما اشتمل عليه القرآن العزيز من الفصاحة والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والأوجه الدقيقة، والأوصاف البليغة، مع التناسب في الصياغة، والتشابه في البراعة.

وقد ورد في القرآن العزيز وصف لبعض الألفاظ بالجمال، وهو من باب الجمال المعنوي، وجاء وصفاً لأنماط شتّى من السلوك البشري، فاتصف به الصبر والصفح والسراح والهجر.

وفي سياق السعي وراء استكشاف شيء يسير من أوجه جمال القرآن الكريم، وروعة نظمه وعباراته وأسلوبه المعجز البديع، يأتي هذا البحث، والذي اخترت له عنوان: ما وصف بالجميل في محكم التنزيل: دراسة موضوعية.

حدود البحث:

يتجه هذا البحث إلى بيان معاني جملة من المفردات القرآنية؛ هي الصبر والصفح والسراح والهجر، حال وصفها بالجميل في آي القرآن الكريم، مع الوقوف على شيء من معانيها حال إفرادها بالذكر دون وصف، دون التعرض لغيرها من المفردات.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تعلقه بإعجاز القرآن البياني، وهو من المباحث الهامة في علوم القرآن الكريم.

٢- صلته الوثيقة بعلم بلاغة القرآن الكريم، فمجيء جملة من المفردات موصوفة بوصف معيّن، وهو وصف الجمال، يرشد إلى معان ودلالات دقيقة.

٣- عنايته بجانب مهم من جوانب نظم القرآن العظيم.

أهداف البحث:

اظهار جانب من جوانب جمال النظم القرآني ودقته.

الوقوف على بعض أسرار المفردات القرآنية حال اتصافها بوصف معيّن.

محاولة بيان وجه اتصاف بعض الكلمات القرآنية بوصف الجمال.

منهج البحث:

سلكت في بحثي هذا: المنهج الموضوعي؛ بأن أجمع الآيات محل الدراسة، ثم أضع عنوانًا مناسباً لكل آية من الآيات التي جاء فيها الوصف بالجميل، ثم تفسير الآيات التي جاء فيها الوصف بالجميل ودراستها دراسة موضوعية، مضمناً الدراسة شيئاً مما حوته الآيات من معانٍ ودلالات.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة حوله، وخطته، والمنهج المتبع في كتابته.

التمهيد: وفيه بيان موجز لمعاني الجمال الوارد في آي الذكر الحكيم.

المبحث الأول: الصبر الجميل.

المبحث الثاني: الصفح الجميل.

المبحث الثالث: السراح الجميل.

المبحث الرابع: الهجر الجميل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

التمهيد

جاءت مفردة الجمال بتصاريفها ومرادفاتها في آيات عديدة من كتاب الله تعالى.

والأصل في معنى الجمال لغة : الحُسْن، وضده القُبْح، وقد جَمُل الرجلُ جَمالاً فهو جميل، والمرأة جميلةٌ وجَمْلاءُ أيضاً، عن الكسائي. وأنشد:

فَهْيَ جَمْلاءُ كَبدْرٍ طالعٍ بَذَّتِ الخَلْقَ جميعاً بالجَمالْ [٣]

والجمال لا يكون محصوراً في الصورة والهيئة، بل يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون

٣- انظر: الجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص١٦٦١ (جمل)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج١، ص٤٨١ (جمل).

أيضاً في أخلاق المرء الباطنة، ويكون في الأفعال. فأما جمال الخلقة فهو أمر يلحظه البصر ويلقيه إلى القلب، فيتلاءم ما أدركه البصر مع ما وقع في القلب، فتطمئن له النفس وتسعد به.

وأما جمال الأخلاق فيكون بتلبّسها بالصفات المحمودة الطيبة من العلم، والحكمة، والعدل، والعفة، وكظم الغيظ، وإرادة الخير لكل أحد.

وأما جمال الأفعال فهو بكونها ملائمة لمصالح الخلق؛ جالبةً لمنافعهم، صارفةً للشر عنهم[٤].

وجاء ذكر مفردة الجمال بصيغة المصدر في كتاب الله العزيز في معرض ذكر شيء من مزايا الأنعام، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[٥].

كما اشتمل القرآن الكريم على جملة من المفردات المقاربة في المعنى لمفردة ومعنى الجمال، كالحسن، والزينة، والزخرف، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٨].

وجاءت مفردة الجمال وصفاً لجملة من الألفاظ في كتاب الله تعالى، فوردت وصفاً للصبر،

٤- انظر: محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ) ط٤، ج١٠، ص٧٠-٧١، وأبو حيّان، أثير الدين الغرناطي، **البحر المحيط** (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ) ط١، ج٦، ص٥٠٧.

٥- سورة النحل، الآية: ٥-٦.

٦- سورة الأحزاب، الآية: ٥٢.

٧- سورة الكهف، الآية: ٧.

٨- سورة يونس، الآية: ٢٤.

والصفح، والسراح، والهجر، ودراسة ارتباط وصف الجمال بهذه الألفاظ هو المراد في هذا البحث.

المبحث الأول: الصبر الجميل

جاء وصف الصبر بالجميل في ثلاث آيات من الذكر الحكيم، ثنتان منها في سورة يوسف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٩).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١٠).

وواحدةٌ في سورة المعارج، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾(١١).

والصَبْرُ: حَبس النفس عن الجزع. وقد صَبَر فلانٌ عند المصيبة يَصْبِرُ صَبْراً. وصَبَرْتُهُ أنا: حبسْته، يُقَالُ: صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ، أَيْ حَبَسْتُهَا. قَالَ الشاعر:

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ

وهو نقيض الجَزَع قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾(١٢)(١٣).

---

٩ - سورة يوسف، الآية: ١٨.

١٠ - سورة يوسف، الآية: ٨٣.

١١ - سورة المعارج، الآية: ٥.

١٢ - سورة الكهف، الآية: ٢٨.

١٣- انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين** (دار ومكتبة هلال) ج٧، ص١١٥ (صبر)، والجوهري، **الصحاح**، ج٢، ص٧٠٦،(صبر)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (بيروت: دار الفكر ١٣٩٩هـ)ج٣، ص٣٢٩ (صبر)، والبيت لعنترة، انظر **ديوانه**: ص٢٦٤.

وهو أيضاً-أي الصبر- حبس النفس عما تنازع إليه.

وسمي رمضان: (شهر الصبر) من هذا الباب، وكل من حبس شيئاً فقد صبّره، ومنه: المصبورة التي نهي عنها: وهي البهيمة تتخذ غرضا وترمى حتى تقتل.

وقيل للصابر على المصيبة: صابر لأنه حبس نفسه عن الجزع.

وجاء عن بعض أهل العلم أنه قال: سمي صبر النفوس: صبرا، لأن مرارته في القلب وإزعاجه للنفس كمرارة الصبر في الفم(١٤).

والصبر في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: الصبر نفسه وهو حبس النفس. ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وفي سورة إبراهيم: ﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ﴾، وفي سورة الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ وفي سورة ص: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴾، وهو الأعم في القرآن.

والثاني: الصوم. ومنه قوله تعالى في موضعين من سورة البقرة: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾.

والثالث: الجرأة. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (أي: فما أجرأهم على النار) ذكره الفراء (ت:٢٠٧هـ)(١٥).

وبناءً على ما مرَّ يمكن تعريف الصبر اصطلاحاً بأنه: قوة للنفس على احتمال الآلام

١٤- انظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ) ط٣، ص٣٨٧-٣٨٨.

١٥- انظر قول الفراء في كتابه: **معاني القرآن**(بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ) ط٣، ج١، ص١٠٣، وانظر معاني الصبر في: ابن الضرير، **وجوه القرآن** (دمشق: دار السقاء، ١٩٩٦م) ط١، ص٢٧٥، وابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ص٣٨٧-٣٨٨.

كالمصائب إذا عرضت[١٦].

وجميل الصبر هو: ما لا شكوى فيه إلى الخلق ولا جزع، رضاً بقضاء الله، ووقوفا مع مقتضى العبودية[١٧].

وإلى نحو هذا المعنى فُسِّرَ الصبر الجميل، وذهبت إليه عبارات أهل التفسير عند تفسيرهم لآيتي سورة يوسف، وآية سورة المعارج ، ومن ذلك قول مجاهد (ت:١٠٤هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[١٨]: "أي صبرٌ ليس فيه جزع ولا شكوى"، وجاء عن الثوري (ت:١٦١هـ) عن بعض أصحابه أنه قال: "ثلاث من الصبر: ألا تحدث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكي نفسك" .

وروي مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر الجميل فقال: "هو صبر لا شكوى فيه"[١٩].

وروي عنه صلى الله عليه وسلم: أنه سئل عن قوله "فصبر جميل" قال "صبر لا شكوى

١٦- وقد عرّفه الجرجاني بأنه: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله، انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص١٣١.

١٧- انظر: السمرقندي، **بحر العلوم** ج٣، ص٤٩٥، وابن الضرير، **وجوه القرآن**، ص١٥١، ومحمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل** (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤١٥هـ) ط١، ج٦، ص١٦١.

١٨ - سورة يوسف، الآية: ١٨.

١٩- انظر: مجاهد بن جبر، **تفسير مجاهد** (مصر: دار الفكر الإسلامي) ص ٣٩٣، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، **تفسير عبد الرزاق** (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ) ج٢، ص٢٠٧،والسيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** (القاهرة: دار هجر، ١٤٢٤هـ) ج٤، ص٥١٤. والحديث ذكره الطبري بسنده عن حبان بن أبي جبلة، قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾يوسف: ١٨ قال: «صبر لا شكوى فيه».

انظر: محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ) ج١٣، ص٤٠ ، وإسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (الرياض: دار طيبة، ١٤١٨هـ) ط١، ج٤، ص٣٧٥، ومحمد صديق القنّوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن** (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ) ج٦، ص٣٠١، والحديث جاء ايضاً عند ابن أبي حاتم في تفسيره: ج٧، ص٢١١٢، والسيوطي في **الدر المنثور**، ج٤، ص٥١٤، قال المناوي: أخرجه ابْن جرير عَن حبَان بن أبي جبلة مُرْسلا، انظر: زين الدين عبد الرؤف المناوي، **الفتح السماوي** (الرياض: دار العاصمة) ج٢، ص٧٢٧.

فيه، ومن بث فلم يصبر"[٢٠].

يقول الرازي (ت:٦٠٦هـ) مؤيداً هذا المعنى ومستشهداً عليه بما جاء في سورة يوسف: "ويدل عليه من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢١] ثم حكى عن الثوري قوله: "من الصبر أن لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك، ولا تزكي نفسك"[٢٢].

وقال أهل المعاني: الصبر الجميل هو: أن يصبر حتى لا يظهر فيه تغير بعبوس وجه، وانقباض عما كان يتبسط فيه قبل المصيبة[٢٣].

ومن المفسرين من ذكر أن الصبر الجميل هو: الصبر الحسن في نوعه، وهو الذي لا يخالطه شيء مما ينافي حقيقة الصبر، أي اصبر صبرا محضا، فإن جمال الحقائق الكاملة بخلوصها عما يعكر معناها من بقايا أضدادها[٢٤].

فلا يشوه جميل الصبر جزع اليائسين من روح الله، القانطين من رحمته، ولا الشكوى إلى

٢٠- الحديث بهذا اللفظ جاء عند نصر بن محمد السمرقندي في **بحر العلوم** (بيروت: دار الفكر) ج٢، ص١٨٤. وقد أخرجه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في **شعب الإيمان** بعبارة مقاربة دون ذكر للآية، فساق بسنده عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كنوز البر إخفاء الصدقة، وكتمان المصائب والأمراض، ومن بث فلم يصبر"، باب: في الصبر على المصائب، وعما تنزع إليه النفس من لذة وشهوة، فصل: في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات، الحديث برقم: ٩٥٧٧ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ) ج١٢، ص٣٧٧.

٢١- سورة يوسف، الآية: ٨٦.

٢٢- فخر الدين محمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ) ج١٨، ص٤٣١.

٢٣- نسب هذا القول لأهل المعاني: علي بن أحمد بن علي الواحدي في **التفسير البسيط** (الرياض: دار الوطن) ج١٢، ص٤٩، وقد جاء في **عدّة الصابرين** أنَّ الصبر الجميل:" هو الذي لاشكوى معه، ولاتنافيه الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى، فإنه قد قال (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)، والله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر الجميل، وقد امتثل ما أُمر به، وقال: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي"... الحديث، وأما قول بعضهم: إن الصبر الجميل أن يكون صاحب المصيبة في القوم لايدرى من هو فهذا من الصبر الجميل، لأن من فقده فقد الصبر الجميل، فإن ظهور أثر المصيبة على العبد مما لا يمكن دفعه البتة"، انظر: ابن القيم، **عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ص٥١.

٢٤- انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م) ج٢٩، ص١٥٨.

غيره سبحانه[٢٥].

ومن دقيق عبارات المفسرين في بيان المراد من وصف الصبر بالجميل: ما أورده ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[٢٦] حيث قال: "ووصف جميل يحتمل أن يكون وصفا كاشفا إذ الصبر كله حسن دون الجزع.

كما قال إبراهيم بن كنيف النبهاني:

تَصَبَّرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ

أي أجمل من الجزع.

ويحتمل أن يكون وصفا مخصصا. وقد فسر الصبر الجميل بالذي لا يخالطه جزع.

والجمال: حسن الشيء في صفات محاسن صنفه، فجمال الصبر أحسن أحواله، وهو أن لا يقارنه شيء يقلل خصائص ماهيته.

وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بامرأة تبكي عند قبرٍ فقال لها: "اتقي الله واصبري"، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي- ولم تعرفه- فلما انصرف مر بها رجل، فقال لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم. فأتت بابه فقالت: لم أعرفك يا رسول الله، فقال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"[٢٧] أي الصبر الكامل"[٢٨].

٢٥- انظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في الكتاب العزيز** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ) ج٣، ص٢٧١، ومحمد رشيد رضا، **تفسير المنار** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٠م) ج١٢، ص٢٢١.

٢٦ - سورة يوسف، الآية: ١٨.

٢٧ - الحديث أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري في **صحيح البخاري** ، "كتاب الجنائز"، باب "زيارة القبور" رقم الحديث: ١٢٨٣ (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ)، ومسلم بن الحجاج القشيري في **الصحيح**، "كتاب الجنائز"، باب "في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة"، رقم الحديث: ٩٢٦ (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٢٨- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص٢٣٩-٢٤٠. وجاء في كتب اللغة والأدب تتمة للشاهد الشعري يحسن

ومقتضى ما ذُكِر يظهر أن الصبر يأتي على ضربين:

أحدهما: جميل، والآخر: غير جميل.

فالصبر الجميل هو: أن يعرف أن منزل ذلك البلاء هو الله تعالى، ثم يعلم أنه سبحانه مالك الملك، ولا اعتراض على المالك في أن يتصرف في ملكه، فيصير استغراق قلبه في هذا المقام مانعا من الشكاية.

وأيضا: يعلم أن منزل هذا البلاء حليم لا يجهل، عالم لا يغفل، وإذا كان كذلك، فكان كل ما صدر عنه حكمة وصواب، فعند ذلك يسكت ولا يعترض.

ويعلم أنه لا يمكنه الصبر إلا بمعونة الله تعالى فقد جاء في ختام الآية الثامنة عشر من سورة يوسف قول يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ أي: أستعين بالله على الصبر على ما تكذبون.

ذكرها، وهي قول الشاعر إبراهيم بن كنيف النبهاني بعد البيت المذكور:

فلو كان يغنى أن يرى المرء جازعاً ... لنازلة أو كان يغنى التذلل

لكان التعزى عند كل مصيبة ... ونازلةٍ بالحر أولى وأجمل

فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... وما لامرئ عما قضي الله مزحل

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... ببؤسٍ ونعمى والحوادث تفعل

فما لينت منا قناةً صليبةً ... ولا ذللتنا للذي ليس يجمل

ولكن رحلناها نفوسا كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل

وقنا بعزم الصبر منا نفوسنا ... فصحت لنا الأعراض والناس هزل

انظر: إسماعيل بن قاسم القالي، **الأمالي** (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ) ج١، ص١٧٠-١٧١، ويحيى بن علي الأصفهاني، **شرح ديوان الحماسة** (بيروت: دار القلم) ص١٨٨، وإبراهيم بن علي القيرواني، **زهر الآداب وثمر الألباب** (بيروت: دار الجيل) ج٤، ص١٠٥٩.

وأما الصبر غير الجميل: فهو الصبر لسائر الأغراض، لا لأجل الرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى.

والضابط في جميع الأقوال والأفعال والاعتقادات: أنه كلّما كان لطلب رضا الله تعالى وتحقيق عبوديته كان حسنا وإلا فلا[٢٩].

والصبر الجميل من أخلاق الأنبياء، وعباد الله الأتقياء الأنقياء، ومن ذلك صبر نبي الله يعقوب عليه السلام، فقد جاء ذكر صبره الجميل في موضعين من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، فإنه لما رجع إليه أبناؤه وأخبروه بفقد ابنه الثاني بنيامين، اشتد حزنه وتضاعف كمده، واتهمهم بأنهم من دبّر الأمر، كما اتهمهم في فقد يوسف قبل سنين، و﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾أي: ألجأ في ذلك إلى الصبر الجميل، الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوى للخلق، ثم لجأ إلى حصول الفرج لما رأى أن الأمر اشتد، والكربة انتهت فقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾أي: يوسف و بنيامين وأخوهم الكبير الذي أقام في مصر[٣٠].

فهذا نموذج من الصبر الجميل للأنبياء وهم القدوة لبقية الخلق.

ومن ذلك أيضاً: أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالصبر الجميل على أذى المشركين في قوله- جل ذكره: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ أي على أذى قومك. والصبر الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله، و لا يشوبه استعجال واضطراب قلب.

وقيل: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو، والمعنى متقارب[٣١].

وقد نسب القول إلى بعض السلف كابن زيد (ت:١٣٦هـ): أن الأمر بالصبر الجميل في آية

٢٩- انظر: محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، **تأويلات أهل السنة** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ) ج٦، ص٢١٩، وحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل** (الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ) ج٤، ص٢٢٣، وحسن بن محمد النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ) ج٤، ص٧١.

٣٠- انظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ) ص٤٠٣.

٣١- انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٨، ص٢٨٤، وعبد الله بن عمر البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (بيروت: دار الفكر) ج٥، ص٢٤٥، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٨٨٥.

المعارج منسوخ بآية السيف[٣٢].

والصحيح -والله أعلم- أن الآية ليس فيها ما يؤيد دعوى النسخ؛ إذ الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على قومه، مع حرصه الشديد على هدايتهم إلى الصراط المستقيم، ليس فيه ما يتعارض مع الأمر بالقتال إذا لزم الأمر.

فقد كان – عليه الصلاة السلام – في غالب أحواله مشفقا على قومه، رحيماً بهم، حتى بلغت شفقته ورحمته وحزنه وحرصه على كفار قومه مبلغا كادت نفسه تهلك فيها، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ ، فالرسل – عليهم السلام – كانوا إذا أوذوا لم يكونوا يحزنون لمكان أنفسهم بما أوذوا، بل كانوا يحزنون على من يؤذيهم خوفا من أن يحل به الهلاك والبوار بإيذائهم رسل الله تعالى، وإشفاقهم وخوفهم على قومهم من العذاب هو الذي كان يحزنهم، وليس سوء صنيعهم ومعاملتهم معهم[٣٣].

يقول الطبري (ت:٣١٠هـ): "قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾[٣٤] هذا حين كان يأمره بالعفو عنهم، لا يكافئهم، فلما أمر بالجهاد والغلظة عليهم أمر بالشدة والقتل حتى يتركوا، ونسخ هذا، وهذا الذي قاله ابن زيد أنه كان أمر بالعفو بهذه الآية، ثم نسخ ذلك قول لا وجه له، لأنه لا دلالة على صحة ما قال من بعض الأوجه التي تصح منها الدعاوي، وليس في أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الصبر الجميل على أذى المشركين ما يوجب أن يكون ذلك أمرا منه له به في بعض الأحوال، بل كان ذلك أمرا من الله له به في كل الأحوال، لأنه لم يزل صلى الله عليه

٣٢- انظر: عبد الرحمن ابن الجوزي، **نواسخ القرآن** (بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاري، ص٢٤٥، وابن الجوزي، **المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ** (بيروت: مؤسسة الرسالة) ص ٥٨، وممن قال بالنسخ أيضاً: هبة الله بن سلامة في **الناسخ والمنسوخ** (بيروت: المكتب الإسلامي) ص ١٨٤، وابن البارزي في **ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه** (بيروت: مؤسسة الرسالة) ص٥٤.

٣٣- انظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج١٠، ص١٩٩-٢٠٠.

٣٤- سورة المعارج، الآية: ٥.

وسلم من لدن بعثه الله إلى أن اخترمه في أذى منهم، وهو في كل ذلك صابر على ما يلقى منهم من أذى قبل أن يأذن الله له بحربهم، وبعد إذنه له بذلك"[٣٥].

وممن أيّد القول بأن الآية محكمة غير منسوخة: ابن عطية (ت:٥٤٣هـ) حيث قال عند تفسيره للآية: " ثم أمر تعالى نبيه بالصبر الجميل، وهو الذي لا يلحقه عيب من فشل ولا تشكك ولا قلة رضى ولا غير ذلك. والأمر بالصبر الجميل محكم في كل حالة، وقد نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال"[٣٦].

المبحث الثاني: الصفح الجميل

وردت مفردة الصفح في سبع آيات من كتاب الله الكريم؛ فجاءت مقترنة مع العفو في أربع آيات هي: في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣٨]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣٩]، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ

٣٥- الطبري، **جامع البيان**، ج٢٣، ص٢٥٤-٢٥٥.

٣٦- ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٣٦٦. وانظر قريباً من هذه المعاني في: إبراهيم بن السري الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه** (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ) ج٣، ص٩٦، وأحمد بن محمد الثعلبي، **الكشف والبيان** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ) ج٥، ص٢٠٣، ومكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، **الهداية**، ج٥، ص٣٦١٦، والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٨، ص٤٣١.

٣٧ - سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٣٨ - سورة المائدة، الآية: ١٣.

٣٩ - سورة النور، الآية: ٢٢.

أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤٠).

كما جاءت مفردة الصفح في موضعين من سورة الزخرف، الأول: في صدر السورة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾(٤١).

والثاني في آخر آية من السورة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(٤٢).

وجاء الصفح موصوفاً بالجميل – وهو محل الدراسة- في آية واحدة من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾(٤٣).

والصفح في أصله: الإعراض، وصفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه، لأنَّه إذا أعرض عنه فكأنَّه قد ولَّاه صَفْحَتَهُ وَصَفْحَهُ، أَيْ عُرْضَهُ وَجَانِبَهُ(٤٤).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالصفح الجميل، فإنه تعالى لما صبّره على أذى قومه، رغّبه بعد ذلك في الصفح عنهم، فقال: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾.

وفي المراد بالصفح الجميل هنا أربعة أوجه:

الأول: أنه الإعراض عنهم من غير جزع.

---

٤٠ – سورة التغابن، الآية: ١٤.

٤١ – سورة الزخرف، الآية: ٥.

٤٢ – سورة الزخرف، الآية: ٨٩.

٤٣ – سورة الحجر، الآية: ٨٥.

٤٤ – انظر: الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص٣٨٣، مادة (صفح)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص٢٧٣، مادة (صفح).

والثاني: أنه صفح المنكر عليهم بكفرهم المقيم على وعظهم.

والثالث: أنه العفو عنهم بغير توبيخ ولا تعنيف.

والرابع: أنه الرضا بغير عتاب[٤٥].

وهذه الأوجه – والله أعلم- متقاربة، وكلها تؤدي إلى معنى واحد، يقول تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: فأعرض وتجاوز عنهم، واحتمل ما تلقى منهم إعراضا جميلاً بحلم وإغضاء، وأمره صلى الله عليه وسلم يشمل أمراً لأمته ; لأنه قدوتهم والمشرع لهم، والأمر بالصفح الجميل في هذه الآية مستعمل في لازمه وهو عدم الحزن والغضب من صنيع أعداء الدين، وحذف متعلق الصفح لظهوره، أي اصفح وأعرض عمن كذبك وآذاك [٤٦].

فالمأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة[٤٧].

والصفح يتضمن الإعراض عن الإساءة، مع عدم التخلي عن الدعوة، بل الاستمرار فيها، وتضمنت كلمة الجميل بيان أن يلقاهم بقلب منفتح لتنفتح قلوبهم للاستجابة، أو ليفتح هو هذه الأبصار التي غطّتها الغشاوة. وفى هذا إشارة إلى معنى جليل في الداعي، وهو الرسول الأمين ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وهو أن الداعي لا يستفزه غضب، ولا يثيره أذى، ولا يمنعه تجهم وسوء معاملة، بل يجب أن يكون البشير النذير دائما في قرب للقلوب، وتقريب للنافر وإيناس

٤٥- انظر: علي بن محمد الماوردي، **النكت والعيون** (بيروت: دار الكتب العلمية) ج٣، ص١٧٠.

٤٦- انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج١٤، ص١٠٥،والسمرقندي، **بحر العلوم**، ج٢، ص٢٦١، وابن الضرير، **وجوه القرآن**، ص٢٨٠، والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٩، ص١٥٨، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص٥٤، ومحمد بن أحمد بن جزي، **التسهيل** (لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ) ج١، ص٤٢٠، وأبا السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٥، ص٨٨، **والشنقيطي**، **أضواء البيان**، ج٢، ص٣١٣، **وابن عاشور**، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٧٧.

٤٧- انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٤٣٤.

للشارد المستوحش؛ لأنه الطبيب المداوي، لكنه مع ذلك ليس الحاكم المسيطر ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ فأمر الهداية القلبية إلى خالقها سبحانه، هذا هو معنى الصفح الجميل، فهو الإعراض في قرب ومودة وإلف من جانبه، ولذا تجد الإسلام ينمو ويزيد، ولا ينقص ويقل(٤٨).

يقول القنوجي (ت:١٣٠٧هـ) مجملاً معنى الآية : "﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾وعند إتيانها ينتقم الله ممن يستحق العذاب، ويحسن إلى من يستحق الإحسان، وفيه وعيد للعصاة وتهديد، ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يصفح عن قومه فقال: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ أي تجاوز عنهم واعف عفواً حسناً، وقيل فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً ولا تعجل عليهم بالانتقام وعاملهم معاملة الصفوح الحليم"(٤٩).

وقد ذهب جملة من المفسرين، وجماعة ممن ألف في علم ناسخ القرآن ومنسوخه إلى أن الأمر بالصفح الجميل في الآية منسوخ بآية السيف(٥٠).

ودعوى النسخ بآية السيف قد توسع فيها المفسرون توسعاً كبيراً؛ فنسخوا بها كثيراً من الآيات التي تظهر سماحة الإسلام، ومداراة أهل الكفر والنفاق، والحث على الصبر وتحمل الأذى في سبيل الدعوة، ومن ذلك هذه الآية.

ففي دعوى نسخ الأمر بالصبر الجميل في هذه الآية نظر؛ لعدم ثبوته عن الصحابة بطريق صحيح، ويؤيد القول ببطلان دعوى النسخ في هذه الآية: أنه لا تعارض بين الدعوة إلى الصفح الجميل والقتال لأن مورد الآيتين مختلف، فالمسالمة مطلوبة عند الضعف، والمسايفة مطلوبة عند

٤٨- انظر: محمد بن أحمد بن مصطفى، أبو زهرة، **زهرة التفاسير** (بيروت: دار الفكر العربي) ج٨، ص٤١٠٨.

٤٩- القنّوجي، **فتح البيان**، ج٧، ص١٩٣.

٥٠- نسب القول بالنسخ إلى المفسرين، الواحدي في: **التفسير البسيط**: ج١٢، ص٦٤٥.
وانظر: أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس، **الناسخ والمنسوخ** (الكويت: مكتبة الفلاح) ج٢، ص٤٨٢، ومكي بن أبي طالب القيسي، **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه** (جدة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ) ص ٣٢٩، وابن الجوزي، **نواسخ القرآن**، ص١٨٤.

القوة لأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، فانتفاء الحكم لانتفاء علته لا يعد نسخاً، بل حتى مع توفر القوة فإن العفو عند المقدرة، والصفح الجميل مع الأعداء خلق محمود، كما فعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يوم الفتح مع كفار قريش، ولهذا أنكر الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ) النسخ في هذه الآية، وقال: "وقيل هو منسوخ بآية السيف، وهو بعيد؛ لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح، فكيف يصير منسوخا؟!"(٥١).

ويقول الزمخشري معللاً القول بعدم وجود النسخ: "ويجوز أن يراد به المخالقة؛ فلا يكون منسوخاً"(٥٢).

المبحث الثالث: السراح الجميل

مفردة السراح بتصاريفها جاءت في أربع آيات من كتاب الله تعالى، ثلاث منها في معرض الحديث عن ارتباط الرجل وانفكاكه عن زوجه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٥٣)، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾(٥٤)، وفي قوله

٥١- الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٩، ص١٥٨.

وانظر: ابن عادل، **اللباب**، ج١١، ص٤٨٥، والزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص٤٠ – ٤٣، وسليمان بن عمر العجيلي الجمل، **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية** (بيروت: دار الكتب العلمية) ج٢، ص٥٥٣، والقنّوجي، **فتح البيان**، ج٧، ص١٩٣، ومحمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان** (القاهرة: مطبعة عيسى البابى الحلبى) ط٣، ج٢، ص١٥٠.

٥٢- محمود بن عمر، الزمخشري، **الكشاف** (الرياض: مكتبة العبيكان) ج٢، ص٥٨٧.

٥٣ – سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

٥٤ – سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾(٥٥).

والرابعة في سروح بهيمة الأنعام وخروجها للمرعى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾(٥٦).

والمقصود بالدراسة هنا هما آيتا سورة الأحزاب؛ فقد جاء وصف السراح فيهما بالجميل.

والأصل في معنى السراح: إطلاق الشيء وحلّه، وتَسْريحُ المرأة: تطليقُها، والتَسْريحُ: التسهيل، والانطلاق(٥٧).

وأول مواطن ورود السراح الموصوف بالجميل جاء في الآية الثامنة والعشرين من سورة الأحزاب، وفيه أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتخيير زوجاته بين السراح الجميل أو البقاء، ومجمل ذلك: أنه لما اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، شق ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرا.

فأراد الله تعالى أن يسهل الأمر على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن يرفع درجة زوجاته، ويذهب عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخيرهن، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: ليس لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها، وتغضبن لفقدها، فليس لي فيكن حاجة، وأنتن بهذه الحال، ﴿ فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ بشيء مما عندي من الدنيا ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ ﴾ أي: أفارقكن ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بحسن مفارقة

---

٥٥ - سورة الأحزاب، الآية: ٤٩.

٥٦ - سورة النحل، الآية: ٦.

٥٧- انظر: الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص٣٧٤، مادة (سرح)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص١٥٧، مادة (سرح).

قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا يحسن وينبغي.

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ أي: هذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لكن الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك لا يكفي، بل لا يفيد شيئا، مع عدم الإحسان، فخيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن(٥٨).

وذهب غالب المفسرين إلى أن السراح هنا: الطلاق(٥٩)، وجميل السراح هو: الفراق الحسن، بمعنى: المقبول عند النفس، وهو الطلاق دون غضب ولا كراهية، ودون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة خاطر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي، لأنه طلاق مراعى فيه أمر الله تعالى، وفيه اجتناب تكليف الزوجة بما يشق عليها(٦٠).

فيكون معنى الآية : يا محمد ﴿ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾(٦١) يقول: فإني أمتعكن بما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٦٢)،

٥٨- انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٦٢٢.

٥٩- ممن ذهب إلى هذا: **الطبري في جامع البيان**، ج١٩، ص٨٤، والسمرقندي في **بحر العلوم**، ج٣، ص٥٨، والواحدي في **التفسير البسيط**، ج١٨، ص٢٢٧، وابن عطية في **المحرر الوجيز**، ج٤، ص٣٨١، والقنوجي في **فتح البيان**، ج١١، ص٧٥، وابن عاشور في **التحرير والتنوير**، ج٢١، ص٣١٦.

٦٠- انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٦٦٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١، ص٣١٦.

٦١ - سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

٦٢ - سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.

وقوله: ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[٦٣] يقول: وأطلقكن على ما أذن الله به، وأدب به عباده بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[٦٤] وليس المذكور في الآية من قبيل التخيير والتمليك اللذين هما من تفويض الطلاق إلى الزوجة، وإنما هذا تخيير المرأة بين شيئين يكون اختيارها أحدهما داعيا زوجها لأن يطلقها إن أراد ذلك[٦٥].

أما السراح الموصوف بالجميل والوارد في الآية التاسعة والأربعون من سورة البقرة وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[٦٦] فليس المراد به الطلاق، فقد تقدم ذكر الطلاق، ورتب عليه التمتع، وعطف عليه السراح الجميل، فلا بد أن يراد به معنى غير الطلاق[٦٧].

وجاءت هذه الآية تشريعا لحكم المطلقات قبل البناء بهن، إذ لا تلزمهن عدة بمناسبة حدوث الطلاق، فتكون هذه الآية مخصصة لآيات العدة من سورة البقرة، فإن الأحزاب نزلت بعد البقرة، وليخصص بها أيضا آية العدة في سورة الطلاق النازلة بعدها لئلا يظن ظان أن العدة من آثار العقد على المرأة سواء دخل بها الزوج أم لم يدخل[٦٨].

وحكى ابن العربي إجماع علماء الأمة على أن لا عدة على المرأة إذا لم يدخل بها زوجها لهذه

---

٦٣ - سورة الأحزاب، الآية: ٢٨.

٦٤ - سورة الطلاق، الآية: ١.

٦٥- انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج١٩، ص٨٤، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١، ص٣١٦.

٦٦ - سورة الأحزاب، الآية: ٤٩.

٦٧- انظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٧، ص١٠٩، والقنّوجي، **فتح البيان**، ج١١، ص١١٠، والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج٨، ص٩٢.

يقول القاضي أبو يعلي: "الأظهر أن هذا التسريح ليس بطلاق، لأنه قد ذكر الطلاق، وإنما هو بيان أنه لا سبيل له عليها، وأن عليه تخليتها من يده وحباله". انظر: ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج٣، ص٤٧٣.

٦٨- انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٢، ص٦٢.

الآية[٦٩].

فالسراح الجميل في هذه الآية هو أن يكون الفراق حسناً، يحمد فيه كل منهما الآخر، فيخلّي سبيلها بالمعروف ، ولا يطالبها بما آتاها، مع البعد عن الأذى والإضرار ومنع الحقوق[٧٠].

يقول ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) مبيناً شيئاً من الحِكَم في هذه الآية: " وقد جعل الله التمتيع جبرا لخاطر المرأة المنكسر بالطلاق، وتقدم في سورة البقرة أن المتعة حق للمطلقة سواء سمي لها صداق أم لم يسم بحكم آية سورة الأحزاب، لأن الله أمر بالتمتيع للمطلقة قبل البناء مطلقا، فكان عمومها في الأحوال كعمومها في الذوات، وليست آية البقرة بمعارضة لهذه الآية إذ ليس فيها تقييد بشرط يقتضي تخصيص المتعة بالتي لم يسم لها صداق، لأنها نازلة في رفع الحرج عن الطلاق قبل البناء وقبل تسمية الصداق، ثم أمرت بالمتعة لتينك المطلقتين فالجمع بين الآيتين ممكن"[٧١].

المبحث الرابع: الهجر الجميل

وردت مفردة الهجر بتصاريفها في خمس آيات من كتاب الله العظيم، الورود الأول في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾[٧٢]، والثاني في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ

٦٩- انظر: محمد بن عبد الله بن العربي، **أحكام القرآن** (لبنان: دار الفكر) ج٣، ص٥٨٧.

٧٠- انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج١٩، ص١٢٧-١٢٨، والماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج٨، ص٤٠٠، ومكي، **الهداية**، ج٩، ص٥٨٥٠، والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٥، ص١٧٥ ، والنسفي، **مدارك التنزيل**، ج٣، ص٣٧، وابن عادل، **اللباب**، ج١٥، ص٥٦٧، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٦٦٨.، وابن عاشور **التحرير والتنوير**، ج٢٢، ص٦٢.

٧١- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٢، ص٦٢.

٧٢- سورة النساء، الآية: ٣٤.

وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا ﴾[٧٣]، والثالث في قوله تعالى: ﴿ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴾[٧٤]، والرابع في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[٧٥]، والخامس في قوله تعالى: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾[٧٦].

والهجر الموصوف بالجميل والوارد في سورة المزمل هو المقصود في هذا البحث .

والهجر في أصل معناه اللغوي من القطع والقطيعة، وهو ضد الوصل ، هجره يهجره هجراً وهجراناً: صرمه، وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم الهجرة[٧٧].

وجاء الهجر موصوفاً بالجميل في الآية العاشرة من سورة المزمل، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[٧٨].

فإن الله عز وجل لما أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالصلاة خصوصاً، وبالذكر عموما، وذلك يحصل للعبد ملكة قوية في تحمل الأثقال، ويعينه على القيام بالأعمال، أمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ويسبونه، ويسبون ما جاء به، وأن يمضي على أمر الله، لا يصده عنه صاد، ولا يرده راد، وأن يهجرهم هجرا جميلا، وهو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه.

ومن الهجر الجميل ألا يترك شفقته عليهم، ولا يدعو عليهم بالهلاك، ولا يمتنع عن دعائهم إلى ما فيه رشدهم وصلاحهم، ومما يشهد لهذا ما جاء في الصحيحين: "كأني أنظر إلى النبي

٧٣- سورة مريم، الآية: ٤٦.

٧٤- سورة المؤمنون، الآية: ٦٧.

٧٥- سورة المزمل، الآية: ١٠.

٧٦- سورة المدثر، الآية: ٥.

٧٧- انظر: الجوهري، **الصحاح**، ج٢، ص ٨٥١، مادة (هجر)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٦، ص٣٤ مادة (هجر) ، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٢٥٠، مادة (هجر).

٧٨- سورة المزمل، الآية: ١٠.

صلى الله عليه وسلم، يحكي نبياً من الأنبياء ، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[٧٩].

فالهجر الجميل: هو الحسن في نوعه، فإن الأحوال والمعاني منها حسن ومنها قبيح في نوعه، ويعرض الوصف للنوع بما من شأنه أن يقترن به من عوارض تناسب حقيقة النوع فإذا جردت الحقيقة عن الأعراض التي قد تعتلق بها كان نوعها خالصا، وإذا ألصق بالحقيقة ما ليس من خصائصها كان النوع مكدرا قبيحا، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾[٨٠]، ومن هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ ﴾[٨١]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ﴾[٨٢].

فالهجر الجميل هو الذي يقتصر صاحبه على حقيقة الهجر، وهو ترك المخالطة فلا يقرنها بجفاء آخر أو أذى، ولما كان الهجر ينشأ عن بغض المهجور، أو كراهية أعماله كان معرضا لأن يعتلق به أذى من سب أو ضرب أو نحو ذلك. فأمر الله رسوله بهجر المشركين هجرا جميلا، أي أن يهجرهم ولا يزيد على هجرهم سباً أو انتقاماً.

وهذا الهجر: هو إمساك النبي صلى الله عليه وسلم عن مكافأتهم بمثل ما يقولونه مما أشار إليه أول الآية في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾.

وليس منسحبا على الدعوة للدين فإنها مستمرة ولكنها تبليغ عن الله تعالى فلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٧٩- الحديث أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث: ٣٤٧٧، وأخرجه مسلم في **الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم الحديث ١٧٩٢.

٨٠ - سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

٨١ - سورة يوسف، الآية: ١٨-٨٣.

٨٢ - سورة المعارج، الآية: ٥.

فإن من جميل الهجر أن يكون لله لا لنفسك، وأن يكون بقلبك دون لسانك، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٨٣].

وقد انتزع فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) من هذه الآية منزعا خُلقيا؛ بأن الله جمع ما يحتاج إليه الإنسان في مخالطة الناس في هاتين الكلمتين، لأن المرء إما أن يكون مخالطاً فلا بد له من الصبر على أذاهم وإيحاشهم، لأنه إن أطمع نفسه بالراحة معهم لم يجدها مستمرة، فيقع في الغموم إن لم يرضّ نفسه بالصبر على أذاهم، وإن ترك المخالطة فذلك هو الهجر الجميل، فثبت أنه لا بد لكل إنسان من أحد هذين الأمرين، والهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم في الأفعال مع المداراة والإغضاء وترك المكافأة، ونظيره في كتاب الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾[٨٤] ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٨٥] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾[٨٦][٨٧].

وذهب بعض العلماء إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ منسوخ بآية السيف[٨٨].

إلّا أن المتأمل في دلالات السورة وهداياتها، ومقاصد القرآن العامة والخاصة، وسيرة النبي

---

٨٣ - سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

٨٤ - سورة النساء، الآية: ٦٣.

٨٥ - سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

٨٦ - سورة النجم، الآية: ٢٩.

٨٧ - انظر: السمرقندي، **بحر العلوم**، ج٣، ص٥١١، وابن الضرير، **وجوه القرآن**، ص١٥١-١٥٢، والماوردي، **النكت والعيون** ج٦، ص١٢٩، **وتفسير السمعاني**، ج٦، ص٨٠، والزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٦٤٠، والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٦٨٩، والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٥، ص٢٥٦ ، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٨٩٢، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٢٦٩.

٨٨- نسب القول بالنسخ لبعض العلماء ورجّحه: ابن عطيه في **المحرر الوجيز**، ج٥، ص٣٨٨، وممن ذهب إلى القول بالنسخ، هبة الله بن سلامة في **الناسخ والمنسوخ**، ص ١٨٧، والخزرجي في **نفس الصباح**، ج٢، ص٧٥٨، وابن الجوزي في **المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ**، ص٥٨، وابن البارزي في **ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه**، ص٥٥.

صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله، لا يجد ما يؤيد دعوى النسخ، فالصبر على الأذى، وهجر الكفر وأهله ليس فيه ما يعارض الجهاد في سبيل الله، بل الهجر من باب العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله، وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله ، فالأصح- والله أعلم-أنّ هذه الآية لم تنسخ، وينصرف تأويلها إلى جهة لا يعمل عليها النسخ، وذلك أن في قوله: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ منع المكافاة لأجل ما آذوه، ولم يفرض عليه القتال ليكافئهم بأذاهم، وينتقم منهم بذلك، بل رجع قتاله إلى نصرة الدين، ولتكون كلمة الله تعالى هي العليا، لذلك لم يكن في آية السيف ما يوجب نسخ هذا، ولا نسخ العمل بقوله: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾(٨٩)(٩٠).

الخاتمة:

الحمد لله جزيل النعم والعطايا، فبحمده ونعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته أجمعين، وبعد:

فقد توصلت في خاتمة هذا البحث إلى جملة من النتائج من أهمها:

الأصل في معنى الجمال: الحُسْن، وجمال الأخلاق فيكون بتلبّسها بالصفات المحمودة الطيبة من العلم، والحكمة، والعدل، والعفة، وكظم الغيظ، وإرادة الخير لكل أحد.

وأما جمال الأفعال فهو بكونها ملائمة لمصالح الخلق؛ جالبةً لمنافعهم، صارفةً للشر عنهم.

جاءت مفردة الجمال وصفاً لجملة من الألفاظ في كتاب الله تعالى، فوردت وصفاً للصبر،

---

٨٩ - سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٩٠- انظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج١٠، ص٢٨٠-٢٨١، وابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٢٨، ص٢٠٨. ومما يؤيد القول بالإحكام وعدم النسخ ذهاب جماعة من أئمة التفسير كابن جرير الطبري وابن كثير إلى هذا الرأي، بل إن الطبري ذكر القول بالنسخ بصيغة التمريض، انظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢٣، ص٣٨٠ ، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٨، ص٢٥٦، كما أن جماعة ممن ألّف في ناسخ القرآن ومنسوخه لم يعدّوها من المنسوخ كالزهري والبغدادي في كتابيهما في **الناسخ والمنسوخ**.

والصفح، والسراح، والهجر، وذلك في سبع آيات من كتاب الله العزيز.

ورد الجميل وصفاً للصبر في ثلاث آيات من كتاب الله العظيم؛ ثنتان في سورة يوسف، وواحدة في سورة المعارج، ووصفاً للصفح في آية واحدة من سورة الحجر، ووصفا للسراح في آيتين من سورة الأحزاب، ووصفاً للهجر في آية واحدة من سورة المزمل، وفي ذلك دلالة وإرشاد للعباد بمنزلة الصبر الجميل والحث على لزومه.

يمكن تعريف الصبر بأنه: قوة للنفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت.

جميل الصبر هو: ما لا شكوى فيه إلى الخلق ولا جزع، رضاً بقضاء الله، ووقوفا مع مقتضى العبودية.

الصفح في أصله: الإعراض، وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالصفح الجميل، فإنه تعالى لما صبّره على أذى قومه، رغّبه بعد ذلك في الصفح عنهم.

الصفح الجميل هو الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، وهو يتضمن الإعراض عن الإساءة، مع عدم التخلي عن الدعوة.

الأصل في معنى السراح: إطلاق الشيء وحلّه، وجميل السراح هو: الفراق الحسن بين الزوجين، وهو المقبول عند النفس، يحمد فيه كل منهما الآخر، فيخلّي سبيلها بالمعروف، مع البعد عن الأذى والإضرار ومنع الحقوق.

الهجر في أصل معناه اللغوي من القطع والقطيعة، و الهجر الجميل هو الذي يكون خالصاً لله تعالى لا انتصاراً للنفس ، ويقتصر صاحبه على حقيقة الهجر، وهو ترك المخالطة فلا يقرنها بجفاء آخر أو أذى، فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهجر المشركين هجرا جميلا، أي أن يهجرهم ولا يزيد على هجرهم سباً أو انتقاماً.

ويحسن في خاتمة هذا البحث ذكر جملة من التوصيات، ولعل أبرزها ما يلي:

من المهم صرف جملة من الباحثين في الدراسات القرآنية بعضاً من جهودهم لدراسة

دلالات مفردات القرآن الكريم التي لم يسبق دراستها؛ فهي مجال خصب للبحث والدراسة.

أهمية العناية بدراسة المفردة القرآنية، فهي باب مهم من أبواب تدبر القرآن العزيز.

لا يزال جانب الهدايات القرآنية في دلالات ألفاظ القرآن العزيز بأنواعها المختلفة من الجوانب الرحبة للباحثين والدارسين.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علّمنا، ويزيدنا علما، كما أسأله أن يلهمنا جميعا الرّشاد والسّداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.